

د. لبنى خشة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

عنوان المداخلة:

المصطلح الصوفي؛ بين خصوصية هندسة المبنى، ودقة عمق المعنى

مقاربة سيميائية لقصيدة "النادرات العينية"

لقطب الدين عبد الكريم الجيلي (767هـ-826هـ / 1365م-1422م)

مداخلة للمشاركة بالملتقى الدولي: التصوف بين النص وطقوس الممارسة

17-18 جانفي 2022

الملخص:

وفق الرؤية الصوفية مراتب الدين ثلاثة؛ الإسلام والإيمان والإحسان، ويهتم التصوف بتحقيق مقام الإحسان، مقام التربية والسلوك، بغية العروج بالإنسان إلى مدارج الكمال، والخروج من دائرة المادية إلى الروحانية، والتصوف: «الأخذ بالحقائق، واليأس مما في أيدي الخلائق» وهو في مجمله «الانقياد إلى الحق» بدأت معالمه في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وأوّل من تسمى بالمصطلح أبو هشام الصوفي، المتوفى سنة (150هـ)، ومن أعلامه؛ الحسن البصري، أبو حامد الغزالي، عبد القادر الجيلي، محيي الدين ابن عربي، ابن الفارض، البوصيري، عبد الكريم الجيلي.

وقد اخترت لهذه الورقة العلمية قصيدة "النادرات العينية"، لعبد الكريم الجيلي، وهي واحدة من أبدع قصائد الشعر الصوفي، وأكثرها من حيث عدد الأبيات، وفيها (534 بيتا)، لا يفوقها طولاً من الشعر الصوفي، غير تائية ابن فارض، وفيها (761 بيتا)، وقد عبّر الجيلي، من خلال قصيدته، عن تجربته، وعن معالم فكره الصوفي، ونظرياته الفلسفية العميقة، وقد أشبع القصيدة بمصطلحات التجربة الصوفية، في نسق شعري بهي، اختار له مجرا عروضيا ذا مساحة عريضة، هو البحر الطويل، الذي تتيح تفاعلاته الممتدة مجالا واسعا للتعبير، كما تسمح بالشرح والتفسير متى احتاج الشاعر، لشرح مفاهيمه واتجاهه واختياراته.

والشعر هو المحل الأوسع للتعبير الصوفي، بما للنص الشعري من إمكانيات خاصة للإشارة إلى أسرار المعنى الذي لا تطيقه العبارة، فالشعر يُوجي، ويُلوّح، ويُلّمح، بين ثنايا سطوره، وفي خفايا بحوره، وبين تكرار حروفه، وتعداد صفوفه، ومن خصوصية هندسة المبنى؛ في طرق تركيب البناء الشعري، سواء كانت هندسة تركيبية للجمل من تقديم وتأخير، أو استثناء وحصر، أو صياغة للبناء ووصفه، وفق علم البيان (التشبيه والاستعارة والكناية، والرمز) يتحرك علم التراكيب، وعلم البيان في الصياغة الشعرية الصوفية،

ليحمل دقة وعمقا في المعنى، من خلال توظيف للمصطلح الصوفي بمراميه البعيدة والعميقة، والتي كان يهدف لإيصالها الجليلي، من خلال تجربته الصوفية، مستعينا بسعة علمه وقوة إدراكه للإشارة اللامحة، وطرق تسخيرها لخدمة التجربة الصوفية في النادرات العينية.

وتأتي المقاربة السيميائية، بما يحمله علم السيمياء من خصوصية، فهو كشف واكتشاف للعلاقات الدلالية غير المرئية في القصيدة، من خلال التجلي المباشر للواقعة الاصطلاحية، وهو أيضا تدريب للعين على التقاط الضمني والمتوارى والممتنع، لا مجرد الاكتفاء بتسمية المناطق النصية أو التعبير عن مكونات المتن، ثم هو العلم الذي يدرس الأنظمة الرمزية في كل الإشارات الدالة، ونخص ذكرا هنا المصطلحات الصوفية في القصيدة، وكيفية توظيف هذه الدلالة، وتفسيرها وفك تشفيرها.

وتهدف هذه الورقة العلمية البحثية للتعريف بأحد أعلام التصوف الإسلامي أولا، ثم قراءة تجربته الصوفية في القصيدة التي صاغت تجربة روحية، وفق مسار صوفي شعري يضح بالمصطلحات، فلا يكاد يخلو بيت واحد من المصطلحات الصوفية، في مفهومها العام عند المتصوفة، وفي مفهومها الخاص في تجربة الجليلي، ووفق المقاربة السيميائية تتضح مفاهيم عبد الكريم الجليلي، للمصطلحات الموظفة في النادرات كنتائج للدراسة، نذكر منها الآتي: الذات الإلهية، معنى الخلق، أركان الإسلام الخمسة، الحب بكل مراتبه وطرق توظيفه الدقيق، وحال المحبوب وأحواله، الصحو والسكر، الفرق والجمع، الخو والصحو، التحلي والتجلي والتجلي، السماع والابصار والمشاهدة، المنام، المقام، الماء، النور، النار، ومصطلحات أخرى تحمل بناءً هندسيا مخالفا ومعنى مغايرا، سيتم فك تشفيرها من خلال الاستعانة بمفاهيم الصوفية، مع الرجوع للقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، من دون أن نهمّل الرموز الديني، ومواضع تناص القصيدة مع قصص الأنبياء، وطرق توظيفها، بما يخدم البناء والمعنى.

Abstract

According to the mysticism vision, There Is Three levels of religion: L' Islam, and faith, and benevolence, Sufism cares Achieving the position of benevolence, The place of education and behavior, In order to ascend man to the runways of perfection, And out of the circle of materialism to spirituality, and mysticism “taking the facts, and despair of what is in the hands of the creatures” It is in its entirety “submission to God” It appeared in the second half of the second century AH, and the first to be named with this term was Abu Hisham al-Sufi, He passed away in the year 150 A.H. we recall from the flags of Sufism: Hassan Al Basri, Abu Hamid Al-Ghazali, Abdul Qadir Jilani, Muhyi al-Din Ibn Arabi, Ibn al-Farid, al-Busairi, Abd al-Karim al-Jili.

I have chosen for this scientific paper Poem 'Al-Nadarat Al-Ainiya', belonging to Abdul Karim Al-Jili, It is one of the most beautiful poems of Sufi poetry, And the most in terms of the number of verses, And the number of its

verses 534, It does not exceed the number of its verses other than the poem Al-Ta'i by its owner Ibn Al-Farid, And the number of its verses 761, Al-Jili, through his poem, has expressed, about his experience, And about the features of the Sufi thought, and his deep philosophical theories, The poem was saturated with terms of mystical experience, in a graceful poetic fashion, He chose for him a wide sea, with a wide area, is the long sea, whose extended activations allow a wide range of expression, It also allows explanation and interpretation whenever the poet needs it, In order to explain its concepts, direction and choices.

Poetry is the broadest place for Sufi expression, Poetry is the widest place for mystical expression, as the poetic text has special capabilities to indicate the secrets of meaning that the expression cannot bear, Poetry inspires, waving, is hinting, Among his lines, And in the secrets of its seas, and between the repetition of its letters, and the number of its rows .

It is a peculiarity of the architecture of the building; in the methods of installing capillary construction; whether it is a synthetic geometry of the sentences, or an exception, or crafting for building and paving, The science of structures and the science of eloquence move in the Sufi poetic formulation, To carry accuracy and depth in meaning, By employing the term Sufi with its far and deep meanings, And which Abdul Karim Al-Jaili aimed to convey, through his mystical experience, Drawing upon the breadth of his knowledge and the strength of his perceptiveness of the subtle sign, And ways of harnessing it to serve the mystical experience in rareness in kind.

This research paper aims first to introduce one of the flags of Islamic mysticism, And to read his mystical experience in the poem that formulated a spiritual experience, According to a Sufi poetic path full of terminology, hardly a single house is devoid of Sufi terminology. In its general concept in the Sufis, and in its specific concept in the experience of Abdul Karim Al-Jaili.

انصبت معظم جهود الدارسين في المجال الصوفي، على البحث في معنى التصوف ونشأته، ودراسة اتجاهاته المختلفة، وترجمة سير أعلامه، من دون الالتفات إلى أهمية الشكل الذي عبر به الصوفية عن أحوالهم وتجربتهم الروحية، والذي تباينت هذه الأشكال، بين الكتابة النثرية، بلغة موعظة في التعمية، كمؤلفات السهروردي، خاصة "رسائله الصغرى" والحلاج "الطواسين"، والأفاصيص الرمزية عند ابن سينا، وابن طفيل، كقصة "يوسف وزليخة" لفريد الدين العطار، وثالثها الشعر، والذي يعدّ نتاجاً لحالة شعورية، وتجربة يتحرر فيها الشاعر من عدة تراكمات، فينطلق حسّه الأدبي نحو أفق رحب فسيح، يتيح له رؤية جديدة للأشياء، وبقدر عمق التجربة التي يعايشها الشاعر أو يعانيتها، يتدفق وحيه الشعري، وقد استطاع شعراء الصوفية أن يعبروا عن معانيهم، ذلك أن الشعر مضمّن للرمز والتشفير، وفق نسق إيقاعي، ونفس إبداعي، لكن الشعر الصوفي الإسلامي، لم يلق -إلى حدّ ما- ما يستحقه من عناية، في مسار الحديث عن التجربة الصوفية، التي لم تكن مجرد تجربة، ولا مذهبا دينيا فحسب، بل كانت تجربة فنية بقدر ما هي تجربة روحية.

وقد بدأت معالم التصوف في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، فكان التصوف الإسلامي، وقد « تدفق من ينابيع الزهد الأولى منذ عصر النبوة، ولم يكن في نشأته مستمداً من مصادر فارسية أو مسيحية، كما ادّعى كثير من المستشرقون الذين درسوا الفكر الإسلامي بغرض النيل منه»¹، أما معنى كلمة **تصوف**، فسكتفي برأي الدكتور زكي مبارك، الذي جمع مصطلح التصوف وفسره من خلال اشتقاق الكلمة قال: «أنّ الكلمة في الاشتقاق تحمل أربعة فروض: الأول: أن يكون الصوفي منسوباً إلى صوفة*، الثاني: أن يكون منسوباً إلى الصوف*، الثالث: أن يكون مشتقاً من الصفاء*، الرابع: أن يكون منسوباً إلى كلمة (سوفيا)* اليونانية»²

وأول من تسمى بمصطلح "الصوفي" أبو هاشم عثمان بن شريك الكوفي (المتوفي سنة 150هـ - 767م أو 152هـ) وكان من كبار تلاميذ الحسن البصري، وكان يسميه البصري بـ "الصوفي" لأنه كان يتخذ من الصوف جلباباً طويلاً يلثم لبسه، وقد كان زاهداً ناسكاً مقلداً من الدنيا، وقيل أول من سمى ببغداد "صوفي" عبدك الصوفي، وكان من أروع المشايخ وأهيبهم، كان رجلاً منزوياً زاهداً، توفي في بغداد سنة (210هـ - 825م أو 836م).

ومن أعلام التصوف نذكر: الحسن البصري (21هـ - 110هـ)، رابعة العدوية (100هـ - 180هـ)، الحسين بن منصور الحلاج (244هـ - 309هـ)، أبو حامد الغزالي (450هـ - 505هـ)، عبد القادر الجيلاني (470هـ - 561هـ)، محيي الدين ابن عربي

¹ يوسف زيدان: الفكر الصوفي بين عبد الكريم الجيلي وكبار الصوفية، دار الأمين، صبع ونشر وتوزيع، مصر، ط2، 1419هـ 1998م، ص19

* **الصوفة**: اسم رجل كان انفراداً بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرم، واسمه الغوث بن مر، فانتسبت الصوفية إليه لمشابهم إياه في الانقطاع إلى الله.

* **الصوف**: اللباس الذي يلبسه الزهاد، عن أبي هرير، رضي الله عنه أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال: "البسوا الصوف وشمروا، وكلوا في أنصاف البطون، تدخلوا في ملكوت السماء"، فلباس الصوف أقرب للتواضع والزهد، ويقال هو لباس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

* **الصفاء**: صفاء القلب، ونقاء السريرة، وسلامة الصدر.

* **سوفيا**: تعني الحكمة، ومنها الفيلسوف: أي محب الحكمة. وتفسير اشتقاق كلمة تصوف عند زكي مبارك، من ص-ص 53-67

² زكي مبارك: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 1938، ص 53

(558هـ-638هـ)، جلال الدين الرومي (604هـ-672هـ) ابن الفارض (567هـ-632هـ)، البوصيري (608هـ-696هـ)، وغيرهم كثير، ومن المتقدمين قطب الدين عبد الكريم الجيلي (767هـ-805هـ)، صاحب "النادرات العينية".

وعبد الكريم الجيلي* من أعلام الفكر الصوفي وشعراءه، صاحب قصيدة بديعة في التصوف، جمع فيها تجربة روحية صوفية من دون أن يهمل ذكر تاريخ مولده فيها وحياته، وطريقة انتسابه للصوفية، وكيف شرب من مشربهم، ولد في بغداد، أول محرم سنة (767هـ الموافق لـ 1365 م) يقول:

ففي أول الشهر المحرم حرمة*** ظهوري، وبالسعد العطار طالع

لستين على سبعين من سبعمئة*** من الهجرة الغرّا سقتني المراضع¹

كان كثير الترحال، «زار الهند ببلدة تسمى كوشي سنة 790 هـ (...). رحل إلى العراق وهو في قرابة العشرين من عمره، وعاد إلى الهند فترة من الزمن (...). ثم اتجه إلى بلاد فارس، أين تعلم الفارسية وكتب رسالته "جنة المعارف وغاية المريد والعارف" ومن فارس اتجه على جنوب الجزيرة العربية، (...) في سنة 796 هـ وصل على مدينة زيد باليمن، وظل بها حتى أوائل سنة 799 هـ (...) في أواخر سنة 799 هـ زار مكة، ثم عاد إلى زيد في شهر ربيع الأول سنة 800 هـ، (...) وفي شهر رجب سنة 803 هـ، كان في القاهرة وألّف "غنية أرباب السماع" (...) وفي نفس السنة كان بمدينة غزة، حيث بدأ تأليف "الكلمات الإلهية" الذي أتمه أوائل سنة 805 هـ بمدينة زيد، وفي أواخر سنة 805 هـ كان بصنعاء اليمن، ثم عاد إلى زيد اليمن، أين توفي سنة 826 هـ، ويكون بذلك عاش ما يقرب من تسع وخمسين سنة، (...) هكذا كان الجيلي، واحداً من تلك الشخصيات القلقة في تاريخ التصوف، فهو لا يستقر بأرض، بل يسيح على طريق الصوفية، بحثاً عن تلك المعالي، التي ذكر في "النادرات" أنها كانت تطلبه مذ كان طفلاً، يقول:

ومذ كنتُ طفلاً فالمعالي تطلي*** وتأنف نفسي كل ما هو واضع

وضع الجيلي ما يزيد على ثلاثين مؤلفاً، في مختلف المواضيع الصوفيّة والفلسفيّة، منها ما طُبِع ومنها لا يزال مخطوطاً دفين المكتبات، ونورد هنا بعضاً من أسمائها: الإنسان الكامل (783 هـ، كتبه وهو في السادسة عشرة من عمره)، مراتب الوجود، الكهف والرقيم (على طريقة علماء الحروف)، المناظر الإلهية، حقيقة الحقائق (في حساب الجمل)، شرح الفتوحات المكية وغيرها من المؤلفات، فقد كان ذا علم بالفلك والنجوم وطوال القمر والكسوف والخسوف، (...) والجغرافيا وطبيعة الأقطار والأمصار (...). وملما بما يحدث تحت الأرض، من تكثف للأبخرة، وما يجري على الأرض من أثمار وفروع (...). كما كان عالماً بقواعد اللغة العربية إلى جانب معرفته بالفارسية والهندية²، وله في كل مجال باع، جمع تجربته الروحية الصوفية في قصيدة تضم (534 بيتاً) فكيف رتب الجيلي، هندسة

* هو عبد الكريم ابن إبراهيم بن عبد الكريم بن خليفة بن أحمد بن محمود، وكنيته قطب الدين، ويلقبه بعضهم بالجيلي، وبعضهم بالجيلاني أو الكيلاني نسبة إلى جيلان، تعني باليونانية أرض الجبل (Gilac) قرية على شاطئ دجلة تحت المدائن، على بُعد (حوالي 40 كم) جنوبي بغداد، يقول ياقوت الحموي: جيلان وموتان ابنا كاشح بن يافث بن نوح عليه السلام، وجيلان اسم لبلاد كثيرة وراء طبرستان، ليس فيها مدينة كبيرة، وإنما هي قرى من مروج بين الجبال، وينسب إليها الجيلاني والجيلي، والعجم يقولون: كيلان، ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، المجلد الثاني، ص 208

¹ يوسف زيدان: النادرات العينية لعبد الكريم الجيلي، مع شرح النابلسي، ص 122

² يوسف زيدان: الفكر الصوفي بين عبد الكريم الجيلي وكبار الصوفية، المرجع نفسه، ص-ص 29-34 بتصرف

قصيدته؟ وكيف كان بناء النادرات العينية؟ وما هي أهم المواضيع التي تحدث عنها؟ وخصوصية مصطلحاته ومعانيها؟ كل هذه الأسئلة وغيرها تجيب عنها المقاربة السيميائية لقصيدة "النادرات العينية" وفق المنهج السيميائي، ضمن مسار عمودي يقف عند هندسة المبنى ودقة المعنى، ومسار أفقي يحصي أهم المصطلحات التي تم توظيفها وطريقة توظيفها.

1- التعريف بالقصيدة وموضوعاتها:

قصيدة "النادرات العينية"، لعبد الكريم الجيلي، وهي واحدة من أبداع قصائد الشعر الصوفي، وأكثرها من حيث عدد الأبيات، وفيها (534 بيتا)، لا يفوقها طولاً من الشعر الصوفي، غير تائية ابن فارض، وفيها (761 بيتا)، وقد عبّر الجيلي، من خلال قصيدته، عن تجربته، وعن معالم فكره الصوفي، ونظرياته الفلسفية العميقة.

أما الموضوعات الصوفية والفلسفية في القصيدة، «فهي متنوعة وقد بدأ الجيلي عينيته بالحديث عن الحب؛ الذي هو عند الصوفية وأول طور من أطوار المعرفة، ثم تحدث عن الله وكيف هو الموجود الأوحد على الحقيقة، وما سواه لا حقيقة لوجوده، كما تضع النادرات تفصيلاً لفكرة الجيلي، في الوحدة وفكرته الأساسية التي شغل بها دائماً: الإنسان الكامل»¹، و«من خلال النادرات أيضاً، يقدم لنا الجيلي، ترجمة ذاتية لحياته، وكيف سلك مسلك القوم وشرب شرابهم (...). وفي ثانياً هذه الروح يتحدث الجيلي، عن الروح وهبوطها، وعن الجسم ونزوله من عند خالقه، وتكونه في الأرحام، كما تتحدث النادرات عن الأفلاك السماوية وترتيبها، هذا كلها إلى جانب موضوع من أهم المواضيع الصوفية، وهو الشيخ والمريد»²، وغيرها من المواضيع التي سنشير إلى مصطلحاتها في حينها.

2- هندسة القصيدة وخصوصية بناءها:

يقع مصطلح (هندسة القصيدة) في المسافة غير المرئية، بين مفهوم القصيدة وبنية القصيدة، وبما أن البناء لا يقوم أو يرتفع إلا بعد هندسته، فإنّ الهندسة تقترب إلى البنية أكثر من اقترابها إلى المفهوم، وإن كانت الهندسة نظرياً تعني المفهوم، إلا أنّها عملياً تعني البنية، ولا يخرج معمار "النادرات العينية"، عن المعمار العمودي القديم، المؤسس على بنية البيت، الذي يجمع بين صدر وعجر، وفق بحر من البحور الخليلية، وقد اختار الجيلي، للقصيدة البحر الطويل.

لكن لا تقف هندسة القصيدة عند المعمار الخارجي المتمثل في الهندسة العمودية، بل يمكن أن تشغل القصيدة على عدد من البنى الداخلية، وأهمها ثلاث: بنية اللغة (هندسة المبنى في تركيب الجمل)، بنية الصورة البلاغية، بينة الرمز، بنية الإيقاع، وتشتمل بنية الإيقاع، على عدد من العناصر أهمها: الوزن، والقافية، والروي، والحقيقة أن القصيدة بعدد أبياتها (534 بيتا) تحتاج إلى أكثر من بعض أوراق لنقف على تفاصيلها، لذلك سأذكر الأهم فالأهم.

أ- بنية اللغة:

تُبنى اللغة بحروف المباني التي تشكل الألفاظ، وترتبط الألفاظ بحروف المعاني - في أغلب الوقت - كي تشكل الجمل، وبين الجمل الإسمية والفعلية، وما يتخللها من حروف وأدوات كالوصل والنصب والجزم والاشارة، تستدرج الجملة بلاغة التصوير، والرمزية الإشارية،

¹ يوسف زيدان: النادرات العينية لعبد الكريم الجيلي، المرجع نفسه، ص-ص 23-24

² يوسف زيدان: المرجع نفسه، ص 24

وفاعلية القصة، وتكرار الحرف والكلمة، كي تشكل هندسة المبنى في القصيدة، وما يزيدنا رونقا وجمالا، ايقاعات التفعيلات الشعرية الخليلية، وفيما سيأتي بعض النماذج عن هندسة المبنى في القصيدة وخصوصيته في قصيدة "النادرات العينية".

ب-بنية الصورة البلاغية:

*-التشبيه

وأغلب الصور البلاغية في "النادرات العينية" مبنية على التشبيه والاستعارة، فمن التشبيه البليغ (ص 88، ص 93، ص 137)، على التشبيه المرسل (ص 83)، إلى التشبيه التمثيلي (ص 127، ص 147)، التشبيه المجموع (ص 110) واقد اخترنا تشبيها ضمينا يقول الجيلي:

إن غرّدت الورقا على غصن بانه *** وجاوب قمري على الأيك ساجع
فأذني لم تسمع سوى نغمة الهوى *** ومنكم فإني لا من الطير سامع¹

يرى الشاعر في تغريد الوراق (الحمامة الرمادية) وهديل القمري، نغمة محبة الذات الإلهية، كأن الشاعر يشبهه كل نغم جميل، أو تغريد طير فهو صوت المحبوب الذي يسمع منه كل جميل.

*-الاستعارة

ويستعمل الجيلي، الكناية، في الصفحات الآتي ذكرها: (63، 77، 83، 113، 134)، وكذلك الأمر بالنسبة الاستعارة سواء كانت حسية أو معنوية، يستعملها في كثير من المواضع والأبيات الشعرية، في الصفحات الآتية (69، 71، 72، 73، 79، 84، 94) يقول:

وإن زمجر الرعد الحجازي بالصفاء *** وأبرق من شعبي جياذ لواضع²

ومن الاستعارة أيضا قوله:

يُنكس رأس الريح عند ارتفاعه *** وكم زال عنه السحب والغيث هامع

ج-بنية الرمز:

*الرمز الديني:

ويبنى الجيلي "النادرات العينية" على رمزية القصة القرآنية، ويختار ما يوافق فكره من القصص في موضع تقاطعها مع قصته ورحلته، ولا أدل على قصة الصبر في الرحلة، والتجلي الإلهي، كقصة موسى عليه السلام، في سبعة عشرة بيتا (17) هي استعارة من قصة النبي موسى بتوظيف رمزي بهي، يقول الجيلي:

فمن مصر أرضي، قد خرجتُ لمدين *** لعلّ شعيب القلب فيه صدائع
فألفيت بنتي، عاداتي وطبائعي *** تذودان أغنامي ومائي نابع
سقيتُ من الماء اليقين غنائمي *** ومن رعي زهر العلم هنّ شوابع
وجاءت على استحياء ذاتي لربها *** بتوحيدها إحداها وهي تُسارع

¹ يوسف زيدان: المرجع نفسه، 73

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ثم يقول:

وكلمني التحقيق من شجر الحشا *** بأني بالوادي المقدس راتع
فسرت بعقلي مع فتاي وحوته *** إلى مجمع البحرين والعقل تابع

إلى أن يقول:

هناك جدار الشرع خضري أقامه *** لئلا تُرى بالعين تلك الشرائع

ويستدرك الجيلي، بعد هذا البيت قائلاً:

فإن فهمت أحشاك ما قلتُ مجملاً *** وإلا فبالفصيل ها أنا صادق¹

فقد أجمل حديثه وجمع رحلته واستعار قصة النبي موسى عليه السلام، ليحكي قصة رحلته، في 17 بيتاً، فمن تمكن من الفهم فقد تمكن، ومن لم يستطع الفهم الجمل فقد فصل الجيلي، قصته فيا يقارب 51 بيتاً أي (3 x 17) تفصيلاً دقيقاً بمصطلحات مغايرة ومفاهيم جديدة، ولهذه التكرارات العددية دلالات خصوصية، لا يتسع المقام لذكرها.

ومن دون أن يهمل الإشارة إلى قصص باقي الأنبياء، يُبها في آياتا متتالية فيبدأ بنوح عليه السلام ويشبه جفونه بالطوفان، ويذكر أيوب عليه السلام ويشبه ابتلاءه بابتلائه، ويذكر النار وإبراهيم عليه السلام، ثم يونس عليه السلام والحوت، يشبه نفسه به، ويذكر شعيباً عليه السلام، كما يذكر زكريا عليه السلام، وابنه يحيى عليه السلام، وبعد ذكره للأنبياء يخص حديثه مناجاةً للمحبوب، فيستعير قصة النبي يوسف عليه السلام، ويبدأ مناجاته بقوله:

أيا يوسف الدنيا لفقدك في الحشا *** من الحزن يعقوب، فهل انت راجع

أتينا تجار الذل نحو عزيزكم *** وأرواحنا المزجاة، تلك البضائع²

أما في حديثه عن الخلق فيستلهم قصة النبي آدم عليه السلام، فيكون بذلك قد ذكر جلّ الأنبياء، كل نبي يستلهم من قصته ما يخدم القصيدة والتجربة الروحية الصوفية عنده.

* رمز الخمرة:

رمز الجيلي للخمر بالقهوة، يقول:

حميا هواه عين قهوة غيره *** مدام، دواماً تقتنيها الأضالع³

وسميت بهذا المصطلح (القهوة) لأنها تُقهي شاربها عن الطعام، أي تذهب شهيتها، ولا شك أن أكثر من شرب

القهوة واهتم بإعدادها هم الصوفيون، استمراراً للقهوة، الخمرة التي تغنوا بها في الحب الإلهي.

ويقول السّهروزي:

ودارت علينا للمعارف قهوة *** يطوف بها من جوهر العقل خمار

ويقول عبد الغني النابلسي:

¹ يوسف زيدان: النادرات العينية، المرجع نفسه، ص-ص 133-136

² المرجع نفسه، ص 66

³ المرجع نفسه، ص 65

شربوا كؤوس هوى الأحبة قهوة*** ولهم غدت كل المكاره شهوة

وعلى الرغم من أنه لم يستعمل لفظ الخمر، إلا إنه استعمل مرادفاتهما كالمدمام، الذي يقصد بها الصوفية، شراب المحبة الإلهية، وهي الخمر الازلية التي سكروا بها، وفي ذلك يقول ابن الفارض:

شربنا على ذكر الحبيب مُدامة** سكرنا بها من قبل أن يُخلق الكرم

ولا يتوقف عند هذا رمز الخمر بلفظ القهوة، لكنه يذكره في أبيات أخرى بألفاظ وتراكيب مختلفة، قوله: سُكَّر الغرام، راح الوصال، المدمام، وغيرها من المصطلحات الدالة على الخمر.

صحنا الناس من سُكر الغرام وما صحا*** وأفرق كل، وهو في الحان جامع¹

د-التناص:

■ التناص مع القرآن:

¹- يقول الله تعالى في سورة الاحقاف الآية 3: ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾، ويأخذ الجيلي المعنى من الآية السابقة ويوظفه في القصيدة يقول:

فقد خلق الأرضين بالحق والسما*** كما جاء في القرآن، إذ أنت سامع²

²- يقول الله تعالى في سورة البقرة الآية 115: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ويأخذ الجيلي المعنى من الآية السابقة ويوظفه في القصيدة يقول:

وفي أينما حقا تولوا وجوهكم*** فثمة وجه الله، هل من يطالع³

■ التناص مع الحديث النبوي الشريف:

¹- الحديث الأول:

حدَّثنا عَبْدُ الواحد بن زيد، قَالَ: حَدَّثَنَا عبد الله بن راشد، مَوْلَى عُثْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عثمان بن عفان، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، خَلَقَ مِائَةَ خُلُقٍ، وَسَبْعَةَ عَشَرَ خُلُقًا، فَمَنْ أَتَى اللَّهَ بِخُلُقٍ مِنْهَا، دَخَلَ الْجَنَّةَ"، ويأخذ الجيلي، معنى الحديث، يقول:

فقد صحَّ في متن الحديث تخلقوا*** بأخلاقه، وما للحقيقة مانع⁴

²- الحديث الثاني:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا. فَقَدْ آذَنَتْهُ بِالْحَرْبِ. وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ: وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَافُلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمِعُهُ الَّذِي

¹ يوسف زيدان: المرجع نفسه، ص 61

² المرجع نفسه، ص 97

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها

⁴ المرجع نفسه، ص 99

يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصْرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلْنِي أَعْطَيْتَهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيدَنَّهُ" رواه البخاري، وقد أبدع الجيلي، في صياغة الحديث بصورة شعرية، يقول:

فها هو سمع بل لسان بل يد *** لنا هكذا بالنقل أخير شارع
فعمّ قوانا والجوارح كونه *** لسانا وسمعا ثم رجلا تسارع¹

■ التناص مع شعراء الصوفية:

ومن خلال سيرة الجيلي ثم "النادرات العينية"، يتضح تشبعه بالثقافة الصوفية وثقافات أخرى، وقد شرب شرايهم ونهل من ينابيع فكرهم، لذلك نجد حضورا يمينا لبعض شعراء الصوفية في قصيدته، كابن الفارض، وابن عربي، لكن المقام لا يتسع لذكرها جميعا، لذلك سنكتفي بمثال واحد عن رابعة العدوية، تقول في الحب الإلهي:

أحبك حين، حب الهوى *** وحب لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى *** فشغلي بذكرك عمن سواك
وأما الذي أنت أهل له *** فكشفك لي الحجب حتى أراكا
فما الحمد في ذا، ولا ذاك لي *** ولكن لك الحمد في ذا وذاكا
ويأخذ الجيلي، المعنى العام لهذه الأبيات وينسج وفقها صدر البيت المولي من قصيدته، يقول:
حبيبتك لا لي، بل لأنك أهله *** وما لي في شيء سواك مطامع²

هـ- بينة الإيقاع

اختار الجيلي البحر الطويل وهو من البحور المركبة، التي تتكون من تفعيلتين مختلفتين تتكرر أربع مرات، لذلك فهو بحر عروضي ذا مساحة عريضة، يتميز بالقوة والجزالة، تتيح تفعيلاته (فعولن مفاعيلن) الممتدة مجالا واسعا للتعبير، كما تسمح بالشرح والتفسير متى احتاج الشاعر، لشرح مفاهيمه واتجاهه واختياراته.

*- القافية:

وتعد القافية واحدة من الظواهر الفنية السائدة في الشعر العربي الذي يعتمد على جمال البحور الخليلية عامة، فهي في معناها الفني الإجرائي، مصطلح يتعلق بآخر البيت يختلف فيه العلماء اختلافا يدخل في عدد أحرفها وحركاتها، وهي عند الخليل بن أحمد: « آخر ساكنين في البيت وما بينهما والمتحرك قبل أولهما»³، وهي عند الأخصش « آخر كلمة في البيت »⁴، ولا يخفى ما للقافية - بوصفها عنصرا أساسيا من عناصر بناء القصيدة - من أثر على صعيد الإيقاع والدلالة، بما تمتلكه من طاقات صوتية وإيحائية، حتى غدت القافية هي النهاية التي ترتاح إليها النفس.

¹ يوسف زيدان: النادرات العينية، المرجع نفسه، ص 99

² المرجع نفسه، ص 67

³ سعد بن عبد الله الواصل: موسوعة العروض والقافية، د ط، د ت، ص 96

⁴ نفس المرجع، الصفحة نفسها

حرف الروي هو « الحرف الذي يختاره الشاعر من الحروف الصالحة، فيبني عليه قصيدته، ويلتزمه في جميع أبياتها، وإليه تُنسب القصيدة »¹، وهو آخر حرف صحيح في البيت، وعليه تبنى القصيدة وإليه تنسب، وتسمى "النادرات العينية" بالقصيدة "العينية" أيضاً لنسبة لحرف رويها على شاكلة أترابها من القصائد التي سميت بحروفها فيقال: قصيدة ميمية أو تائية أو دالية، وهو الحرف الأخير الذي تبنى عليه القصيدة، وقد اختار الجيلي، حرف العين رويًا ورواءً، وحرف العين، وهو من الحروف التي تحتاج من القارئ رعاية شديدة، فهو حرف مجهور، متوسط، منفتح، مستفل، مصمت، ولا يعدو هذا الاختيار وان كان عفواً إلا أن له تفسيراً رمزياً بحسب خصوصية الحرف وصفاته، الجهر، والتوسط بين الشدة والرخاوة، الانفتاح والاستفال والأصمات.

- والجهر ضده الهمس، أرد من خلاله الجيلي إيصال تجربته الصوفية التي استقاها من بداياته يقول:

وها أنا إذا أنبيك عن سُبُل الهوى *** وأفصح عمّا قد حوته المشارع
أقص حديثاً تم لي من بدايتي *** لنحو انتهائي علّه لك نافع²

- وهو أيضاً حرف متوسط بين الشدة والرخاوة أي أن الصوت لا يجري فيه جرياناً كاملاً ولا ينحبس فيه انحباساً كاملاً بل يكون متوسطاً، وكذلك حال الصوفي، لا يرتخي إن عم النعيم بأرضه، ولا تكسره شدة البلاء، فيكون متوسط الحال إن اشتدت به شدة أو حل به النعيم، كما لا يتراخى في عبادته وحببه لمحبوبه، يقول:

وما لي إن حلّ البلاء النفاة *** ومالي إن جاء النعيم مراتع³

- الانفتاح، وهو ضد الاطباق، والانفتاح في معناه العام فتح أبواب العقل، سواء كان للعلم والسعي له، أو تجربة ومعاشتها، ولا أدل على تجارب الجيلي في هذا الميدان يقول:

ومذ كنت طفلاً فالمعالي تطلبي *** وتأنف نفسي كل ما هو واضح
ولي همة كانت وها هي لم تزل *** على أنّ لها فوق الطباق مواضع
وقد كنت جمّاحاً إلى كل هيئة *** فخضتُ بحارا دونهنّ فجائع⁴

- الاستفال: ومعني الاستفال: الانخفاض، ولا أدل على هذه الحالة خضوع الصوفي في محبته وشوقه ولوعته لمحبوبه يقول الجيلي:

وأُنزلني من أوج عزّي ذلّة *** فلي بعد رفع الاقتدار تواضع
طرحتُ على أرض الهوان رياستي *** لها نعم طرحا لقدري رافع⁵

¹ سعد بن عبد الله الواصل: موسوعة العروض والقافية، المرجع نفسه ص 99

² يوسف زيدان: النادرات العينية المرجع نفسه، 114

³ المرجع نفسه، ص 71

⁴ المرجع نفسه، ص 123

⁵ المرجع نفسه، ص 126

-الإصمات* وهو ضد الأذلاق، وفي شرح آخر لمعناه هو التأني في النطق، يقول الخليلي:

أتيتُ إليها راغبا في مرادها*** ومالي في شيء سواها مطامعُ
وفرغت مشغول الفؤاد عن السوى*** فما أنا في غير الحبيب مُطالعُ¹

وهندسة القصيدة هو معمارها الخارجي؛ الذي تمثل في عمود الشعر على شاكلة الشعر القديم، الذي يحتفي بالبحر الخليلي وتفعيلاته، ثم هي خصوصية البناء الداخلي؛ الذي استثمر فيها الشاعر الصوفي تجربته الروحية وصاغ تفاصيلها ومسارها، في نسق جمع بين تشبعه بالمنحى الديني، واستثماره لآيات القرآن وقصص الأنبياء، والحديث النبوي الشريف، ومسار السنة العطرة، ثم المنحى الأدبي ممثلا في الشعر العربي وقصص العشق العذري، بأن وظف قصة قيس بن الملوح وحبه ليلى، وقصة جميل بن معمر وحبه لبثينة، في حديثه عن الحب الإلهي، ثم الشعر الصوفي وامتزاج الروح والراح في مسار التجربة الصوفية، وانبعث النور الإلهي، فما هي المصطلحات الصوفية التي وظفها الخليلي؟ وكيف تم توظيفها؟

2-المصطلح الصوفي بين الدقة التوظيف وعمق المعنى:

من المعلوم أن لكل مجال من العلوم أو التجربة الإنسانية ألفاظ ومصطلحات تنفرد بها عمَّن سواها، تواطئ عليها بعض القوم لأغراض لهم فيها من تقريب الفهم على المخاطبين بها، أو تسهيل على أهل تلك الصنعة في الوقوف على معانيهم بإطلاقها، وقد استعمل الصوفية ألفاظاً فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم، والإبهام والستر على من باينهم في طريقتهم، لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب، غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها، إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلفٍ أو مجلوبة بضرب تصرف، بل هي معاني أودعها الله تعالى قلوب قومٍ واستخلصها لحقائق أسرارها، وأكبر إشكالات الخطاب الصوفي اللغة، فلغة العامة التي لم تكن قادرة على استيعاب معاني الصوفية، ولا التوظيف الرمزي، شديد التشفير لمصطلحاتهم، مما أوقع المتصوفة الأوائل في محن شديدة، بسب ما صدر عنهم من أقوال، وصلت إلى استباحة دماءهم... ذلك أن التلقي الخاطيء، ومحدودية الاستيعاب، كانت حائلا للفهم الصحيح لمعنى التصوف ومصطلحاته الرمزية.

وأورد في هذا المقام مفهوما حسن الشرقاوي، حول التصوف يقول هو: «الاسترسال مع الله تعالى، وهو عيش مع الله، وفي الله، وباللله، وخوف من الله، ورجاء في الله، وهو حفظ للأوقات واسقاط للتدبير، وهو سلب لأوصاف النفس المذمومة، وتحلية لها بالوصاف المحمودة، وهو بعد كل ذلك تجريد للتوحيد، فلا يشوب القلب خاطر شيطاني فيفسده، ولا هوى فيظلمه، وهو كشف عن الخاطر، وبحث عن كل ما يخطر على سر الصوفي، فيسترسل مع ما هو حق، ويتجنب ما هو باطل»²، ولعلّ هذا المفهوم بالذات يجعلنا نفهم

* الإصمات: عدم سرعة النطق بالحرف، فعند النطق بحرف العين يكون الصوت لا هو شديداً، ولا هو رخو ولكنه متوسط ما بين الشدة والرخاوة

¹ يوسف زيدان: النادر العينية، المرجع نفسه، ص 124

² حسن الشرقاوي: معجم ألفاظ الصوفية، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1992م، ص 78

ونشرح، ونؤوّل، لغة الصوفية ورمزية مصطلحاتهم، ضمن هذا المجال المفعم بالنفحات الربانية من منطلق آيات الكتاب الحكيم، والحديث الشريف، يقول الجيلي في كتابه الإنسان الكامل:

افهم إشارتنا وفكّ رموزها *** لكن على أصل الكتاب القائم
واحذر من فهم يميل عن الهدى *** عمّا أتاك به النبي الهاشمي
ما ذاك قصدي، إنما قصدي الذي *** جاء الرسول به بغير تكاتم
فإذا بدا لك ما تعسر فهمه *** أو كنت تفهم منه قول الغاشم
فاتركه والجأ للإله وقم على *** سنن أتاك به حديث القاسم¹

ومن خلال قول الجيلي أراد أن يؤكد حقيقة مفادها أنّ كلّ علم لا يؤيّده الكتاب والسنة، فهو ضلالة لا لأجل ما لا تجد أنت ما يؤيّده، فقد يكون العلم نفسه مؤيداً بالكتاب والسنة، ولكنّ قلة استعدادك منعتك من فهمه.

أ- مصطلح المحبة:

من المصطلحات التي تكررت في القصيدة مصطلح المحبة، فقد ذكرها الجيلي بمستوياتها ودرجاتها، واحببنا أن يكون تفسير المصطلح وفق المعنى اللغوي، ثم المعنى الصوفي العام، ثم البيت الشعري من "النادرات العينية" لتتمكن من مقارنة معناه عند الجيلي، بالنظر إلى المعنى اللغوي والصوفي، لكن هذا العمل يلزمه أوراق عدة، مما يزيحنا من دائرة الالتزام بالعدد المطلوب، لذلك اكتفينا بجزئيتين اثنتين، كما هي في الجداول الموالية:

حقل الحب	من قصيدة "النادرات العينية"	دلالة المصطلح عند الجيلي
المحبة	ص 61- فؤادٌ به شمس المحبة طالع وليس لنجم العذل فيه مواقع	المحبة = محبة الله وهي النور الذي تحدّثه محبة الله في القلب
العشق	ص 69- فقام الهوى عندي مقاما فكنته وغُيِّبَت، عن كوني فعشقي جامع	الهوى = مقام والعشق = الغياب عن الكينونة وعن الكون
الهوى	ص 68- وقد فنيت روعي لقارعة الهوى وأفنيْتُ عن محوي، بما أنا قارِعُ	الهوى = فناء ومحو
الغرام	ص 63- صليْتُ بنارٍ اضرمتها ثلاثة غرامٌ، وشوقٌ، والديار الشواسع ص 71- وما أنا من يسلو ببعض غرامه عن البعض، بل بالكل وما انا قانع	الغرام والشوق = نار محرقة والغرام = سلوى، لكن السلوى تستدعي كل غرامه

¹ عبد الكريم الجيلي: الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الازهر بمصر، ج 1، ص 25

الشوق	ص71-وشوقي، ما شوقي، وقيث فإنه جحيم له بين الضلوع فراقع	الشوق = جحيم
الوجد	ص68-تمكّن من الحب فامتحن الحشا واتلفني الوجد الشديد المنازع	الحب = أمحق الحشا، اهلكه ومحاه وأباهه الوجد = متلف

يصف الجيلي، حاله بأنه فؤاد (بصيغة النكرة) تجلت عليه شمس المحبة في (ص61)، أي الانتقال من العلم إلى المعرفة، وسطوع المحبة في انحاء القلب ينقل الوعي الإنساني إلى مساحة أخرى غير المساحة الضيقة المتخصصة التي كان محصوراً فيها، هذا الفؤاد الذي فيه قد سطعت شمس المحبة (طالع) ليس لديه مساحة أو وقت ليأتي أيا كان لعزله، فالانشغال بالوجود الإلهي الأعلى لا مكان للوجود الدنيوي الأدنى، لن يلتفت إليه، ولا يوجد موقع ولا مساحة ليومه أحد.

والحب عن الصوفية: «هو المنطقة الوسطى بين العلم والمعرفة، وفي العبارات الصوفية المحبة هي آخر درجة من درجات العلم، وأول درجة من درجات المعرفة، أما الفرق بين العلم والمعرفة؛ فالعلم: هو المحدود بتخصص ما، وهو شيء تطبيقي وعقلاني، والحب مصطلح من مصطلحات المتصوفة العرب، وهو عند الفرس العشق بمعنى واحد (...). أما الحب عند المتصوفة العرب، المنطقة التي يتم فيها الانتقال من حالة العلم إلى حالة المعرفة أو التجلي أو معرفة الحقائق، أو يرى العالم برؤية صوفية (...). قال الشبلي: علامة المعرفة المحبة، لأن من عرفه أحبه، وقال الجنيد: المعرفة طلوع الحق على الاسرار، بمواصلة لطائف الانوار وقيل: المعرفة تحقيق القلب بوحدانية الله، وقال بعضهم: عرفت الله به، وعرفت ما دون الله بنور الله، **والمعرفة ثلاثة: معرفة اللسان:** وهو الإقرار، ومعرفة القلب: هو التصديق، ومعرفة الروح: هو اليقين»¹ وقد ذكر الجيلي، المحبة بكل درجاتها في قصيدته (الهوى، الصباية، الشغف، الوجد، والكلف، والعشق، والنجوى، والشوق، والوصب، والاستكانة، والود والغرام، والهيام،)، بهندسة شعرية، وخصوصية مصطلحية تجمع بين المعاني اللغوية والمعاني الصوفية، وقد اكتفينا بسبعة مقامات أو مصطلحات.

والمحبة لفظ ذكر في القرآن في عدة مواضع، نذكر منه موضعين لضيق المقام، قال تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ آل عمران الآية 31، قال أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۗ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ سور المائدة الآية 54

ويعرف الإمام الغزالي، العشق الإلهي قائلاً: فاعلم أن من عَرَفَ الله أَحَبَّهُ لا محالة، ومن تأكدت معرفته تأكدت محبته بقدر تأكد معرفته، والمحبة إذا تأكدت سُميت عشقاً، فلا معنى للعشق إلا محبة مؤكدة مفرطة، ولذلك قالت العرب: "إن محمداً قد عَشِقَ ربه" لَمَّا رآه يتخلى للعبادة في جبل حراء.

*المعرفة: غير محدودة بتخصص، فهي شيء قلبي.

¹ السُّلَمي (أبي عبد الرحمن): مقدمة في التصوف، تقديم وتحقيق: يوسف زيدان، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1419 هـ-1999م، ص31

ب-مصطلحات أركان الإسلام:

يفتح الجيلي، حديثه عن أركان الإسلام، ابتداء من البيت 70 يقول:

فديني وإسلامي وتقواي أنني *** بحسبك فإن، لإتمارك طائع¹

أركان الاسلام	من "النادرات العينية" عند الجيلي	دلالة المصطلح
الشهادتان	ص75- إذا قيل: قل: لا، قلت غير جاهلها وإن قيل: إلا، قلت: حسبك شاسع	لا إله إلا الله = لا جمال غير جمال الله. ولا حسن إلا حسنة.
الصلاة	ص75- أصلي إذا صلى الأنام، وإتّما صلاتي، بأني لاعتزازك خاضع	الصلاة = خضوع
تكبير الاحرام	ص75- أكبر في التحريم ذاتك عن سوى واسمك تسيحي إذا أنا خاشع	التكبير = تكبير ذات الله
القيام	ص76- أقوم أصلي، أي أقوم على الوفا بأتك فرداً واحد الحسن جامع	القيام = القيام على الوفاء
القراءة	ص76- وأقرأ، من قرآن حسبك آية فذاك قرآني إذا أنا راعع	قراءة القرآن = قراءة حسن وجمال الله
السجود	ص76- وأسجد، أي أفني، وأفني عن الفناء فأسجد أخرى، والمتيم والع	السجود = الفناء
التحية	ص76- وقلبي مذ أبقاه حسبك عنده تحياته منكم، إليكم تُسارع	التحية = للتحية لله (من الله وإلى الله)
الصيام	ص76- صيامي هو الإمساك عن رؤية السوى وفطري، أي نحو وجهك راجع	الصيام = الإمساك عن رؤية سوى الله الإفطار = الرجوع على الله
الزكاة	ص76- وبذلي نفسي في هواك صباباً زكاة جمال منك في القلب ساطع	الزكاة = بذل النفس
الحج	ص77- يا كعبة الآمال وجهك حجتي وعمرة نسكي، أنني فيك والع	الحج = قصد وجه الله العمرة = حب الله والولع به

¹ يوسف زيدان: النادرَات العينية، المرجع نفسه، ص 75

لباس الإحرام	ص 77- <u>وتجريد نفسي عن مخيط صفاتها</u> بوصلك، إحرامي عن الغير قاطع	الإحرام = تجريد النفس عن سيء صفاتها. والتجريد = التخلي
التلبية	ص 77- <u>وتلبيتي أني أذلل مهجتي</u> لما منك في ذاتي من الحسن لامع	التلبية = تذليل الروح والنفس ويقصد بها تعظيم ذاتك (ذات الله) وتذليل نفسي إليك
الطواف	ص 78- <u>فها أنا في تطواف كعبة حسنه</u> <u>أدور، ومعنى الدور أنني راجع</u>	الطواف = الدوران الدوران = الرجوع إلى الله
الركن اليماني	ص 79- <u>واستلم الركن اليماني لأنه</u> <u>به نفس الرحمن، والنفس جامع</u>	الركن اليماني = به نفس الرحمان
الحجر الاسود	ص 79- <u>أقبل خال الحسن في الحجر الذي</u> لنا من قديم العهد فيه ودائع ومعناه أن النفس فيها لطيفة <u>بها تُقبل الأوصاف والذات شائع</u>	تقبيل الحجر = تقبيل صفات
حلق الرأس	ص 78- <u>وإعفاء حلق الرأس، ترك رياسة</u> فشرط الهوى أن المتيم خاضع ص 80- <u>وما القصر إلا عن سواكم حقيقة</u> وما الحلق إلا ترك ما هو قاطع	حلق الرأس = التخلي عن الرئاسة ترك الرياسة مبدأ من مبادئ الصوفية الحلق = إبعاد أعلى منطقة في الانسان وخلعها وإزالة ما يزينها.
ترك تقليم الاظافر	ص 78- <u>إذا ترك الحجاج تقليم ظفرهم</u> <u>تركت من الأفعال ما أنا صانع</u>	ترك التقليم = التخلي سيء الفعال.
ختام الطواف	ص 80- <u>واختم تطواف الغرام بركعة</u> من <u>الحو</u> عما أحدثته الطباع	ختام الطواف = حو الحو يحتمل وجهين؛ والحو المصطلح الصوفي الذي يعني الحو يتوغل المحب جدا في محبته حتى أنه لا يشعر بذاته، ومن خلال البيت يتضح أنه حو الذنوب.

تختلف مفاهيم الأركان والفرائض في الفكر الصوفي، ذلك أن عمق التجربة الصوفية تكمن في البحث عن حقيقة الشيء وجوهره، والفهم لا يتسنى إلا من بحث عن باطن الشيء وجوهر حقيقته، لكن ما لا يختلف هي حقيقة العبادة، فقد جاء القرآن مبينا للعبادة والفرائض، وجاءت السنة الشريفة شارحة لها، وهذه أية واحدة من آيات القرآن الكريم تحث على الصلاة وصفحتها، يقول تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ سورة البقرة الآية 238، قال ابن زيد في قوله: "وقوموا لله قانتين" قال: إذا قمتم في الصلاة فاسكتوا، لا تكلموا أحدا حتى تفرغوا منها. قال: والقانت: المصلي الذي لا يتكلم، وقال آخرون: القنوت في

هذه الآية : الركوع في الصلاة والخشوع فيها، وقالوا في تأويل الآية: وقوموا لله في صلاتكم خاشعين، خافضي الأجنحة، غير عابثين ولا لاعبين، ذكر من قال ذلك : حدثني سلم بن جنادة، قال : ثنا ابن إدريس عن ليث، عن مجاهد : "وقوموا لله قانتين" قال : فمن القنوت طول الركوع، وغض البصر، وخفض الجناح، والخشوع من رهبة الله، وقد أعطى الجليلي، مفهوم الصلاة عنده بمصطلح الخشوع، والخشوع في معناه اللغوي لأن وانذل، والخشوع في الشريعة؛ الطاعة والاستسلام الكامل، ولا يتحقق إلا باستحضار الله والخوف منه، في الصلاة هو الخشوع رهبة الله، وبذلك لم يخرج الجليلي، عن المعنى الحقيقي، وإن عبر عنه وعن باقي المصطلحات بصيغ في ظاهر معناها غريبة، لكن البحث عن جوهرها وعمق معناها من القرآن الكريم، والسنة الشريفة، يجد أنها تصب في سياق العقل والقبول ولم تخرج إلى غرابة التوظيف، إنما اتسمت بدقة وعمق التوظيف الاصطلاحي.

ج-الذات الإلهية:

المصطلح	في النادرات العينية	الذات الإلهية
جمع اسم الله الأضداد= المحيي والمميت، المقدم والمؤخر، الأول والآخر، الظاهر والباطن، الخافض والرافع، الضار والنافع، المعز والمذل وهذا ما يسمى في مصطلحات الصوفية بالألوهية.	ص81-على علمي معنك ضِدَانُ جُمَعَا ويا لهفي ضدان، كيف التجامع	معنى الذات الإلهية
التجلي الأول، في الأسماء الحسنی. التجلي الثاني، في الصفات العليا. التجلي الثالث، في الأثر الذي في الكون. معنى الخالق من المنظور الصوفي، يختلف عن معناه عند العوام، الله هو الجمال المتجلي في مظاهر الحسن. عين الذات = الذات الإلهية	من الصفحة 87 حتى الصفحة 98 على مدار 50 بيتا يذكر التجلي الإلهي ويعدد مستوياته وطرقه وصفاته. ص87-تجلى حبيبي، في مرآتي جماله ففي كل مرئي للحبيب طلائع -فلما تبدى حسنه متنوعا تسمى بأسماء فهن مطالع -وأبرز منه فيه آثار وصفه فذاككم الآثار من هو صانع -فأوصافه، والاسم، والأثر الذي هو الكون، عين الذات، والله جامع -فما ثم من شيء غير الله، في الوری وما ثم مسموع، وما ثم سامع ص98-وفي أينما حقا تولوا وجوهكم فثمة وجه الله، هل من يُطالَعُ	تجلي الذات الإلهية

<p>وفي وحدة الوجود 3 معانٍ:</p> <p>-الربوبية: صفة مشتركة بين الله والانسان، فنقول رب البيت ورب العمل، والربوبية مشروطة بما يسمى بالسر، سرّ الربوبية: توقّفها على المربوب.</p> <p>-الألوهية: الجمع بين الاضداد.</p> <p>-الأحدية: يمتنع عن تجليها المخلوق، لأنها تتوقف عند الله، وله خالصة.</p> <p>كثيرة الأبيات الشعرية من "النادرات العينية" التي رصدت هذه المفاهيم.</p>	<p>فيا أُحدي الذات في عين كثرة ويا واحد الأشياء ذاتك شائع تجليت في الأشياء حين خلقتها فها هي ميّطت عنك فيها البراقع</p>	<p>وحدة الوجود</p>
--	---	--------------------

وفي تجلي الأسماء والصفات يفصّل الجيلي، في كتابه الانسان الكامل¹، أسماء الله الحسنى في جدول، يحصي من خلاله الأسماء والصفات الذاتية؛ يذكر الأسماء التي ينفرد الله تعالى، والأسماء والصفات الجلالية؛ التي تعظم قدرة الله، الأسماء والصفات المشتركة "وهي الكمالية" يذكر أضداد أسماء الله متقابلة، والأسماء والصفات الجمالية؛ يذكر صفات الحسن والبهاء التي اختص بها الله تعالى، وفي كل اسم أو صفة يذكر الجيلي، في "النادرات العينية" شعرا يوافق معناها في نسق بديع يضح بالمصطلحات التي تفسر كل اسم وكل صفة.

وفي كل مرة تبرز نباهة الجيلي وفطنته، في توظيف المصطلح الصوفي الذي يعكس رؤية تتقاطع مع الرؤية الدينية من دون أن يعرض نفسه ولا شعره لتأويلات تخالف الدين، وما استدراكه إلا كي لا يتسلل الفهم الخاطئ للقصيدة، كما يتدارك في كل مرة يرى فيها نفسه أوغل في خصوصية المصطلح يقول:

وما أنا جبري العقيدة إنني *** محب، فني فيمن خبته الأضالع²

ويقول أيضا:

ولست بجبري العقيدة، ولكن مشاهد *** فعال مرید ما له من يدافع³

¹ عبد الكريم الجيلي: الانسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، المرجع نفسه، ص 59

² يوسف زيدان: النادرات العينية، المرجع نفسه، ص 78

³ المرجع نفسه، ص 138

الخاتمة:

- التجربة الصوفية عند الجليلي، تجربة مشبعة بثقافته الدينية، ورحلاته العديدة زادت تشبع التجربة، وقد استثمر كل هذا الشراء في توظيفها في البناء الهندسي للقصيدة وفي خصوصية المصطلح.
- يتميز شعر الجليلي، بحس شعري مرهف، لا يلجأ في شعره من الناحية البلاغية إلى الصور المفتعلة، تناسب ألفاظه سهولة ويسرا، ودقة في التوظيف بما يخدم المعنى، وأغلب صورته "التشبيه والاستعارة" من دون أن يهمل "المحسنات البديعية" كالجناس والطباق والمقابلة في حديثه عن مصطلحات الذات الإلاهية.
- استعمل الرمز الديني واستعار مسار قصص الأنبياء ليصور التشكيل الهندسي البديع في تجربته الروحية.
- ركز الجليلي في قصيدته "النادرات العينية" على مصطلحات المحبة، والذات الإلاهية، وأركان الإسلام، واتباع الشيخ، وترويض النفس، بتصوير دقيق، ليختم القصيدة بالصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم.
- فصل الجليلي، تجربته الصوفية الروحية في "النادرات العينية" (534 بيتا) لكن لا يتسع المقام لذكر كل البهاء الذي أبدعه.

المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

1-المصادر:

-عبد الكريم الجيلي: النادر العينية، شرح النابلسي، تحقيق يوسف زيدان،

-عبد الكريم الجيلي: الانسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الازهر بمصر، ج1.

2-المراجع:

-زكي مبارك: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 1938

-السُّلَمي (أبي عبد الرحمان): مقدمة في التصوف، تقديم وتحقيق: يوسف زيدان، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1419 هـ-1999م،

-سعد بن ناصر بن عبد العزيز بن الششتري: مختصر صحيح البخاري، دار إشبيلية للنشر والتوزيع، ط1، 1423 هـ 2002م

-سعد بن عبد الله الواصل: موسوعة العروض والقافية، د ط، د ت

-يوسف زيدان: الفكر الصوفي بين عبد الكريم الجيلي وكبار الصوفية، دار الأمين، صبع ونشر وتوزيع، مصر، ط2، 1419 هـ 1998م

-حسن الشرقاوي: معجم ألفاظ الصوفية، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1992م